Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار الخامس - العدد الخامس عشر || تاريخ الإصدار 2026-06-20

علاقة الحوار في معيار الحبك في القرآن الكريم- دراسة في لسانيّات النصّ: حوارات من سورة يوسف أنموذجًا

Dialogue and Its Relation to the Cohesion Criterion in the Holy Qur'an: A Study in Text Linguistics – Dialogues from Surat Yusuf as a Model

د. مسلم محاميد

Dr. Muslim Mahamid

جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss51514

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:
في هذا البحث تناولنا عنصرًا من عناصر الحبك الرئيسة، وهو عنصر الحوار، وتتبّعنا أهميّته بوصفه عنصرًا ذا أهميّة قصوى في إبراز الدور الملحوظ للحبك، من حيث هو مركّب في بناء نحو النصّ وإعانة المتلقّي على التوصّل إلى دلالات النصّ الملحوظة، بل التي ربّما تأتي محذوفة وغير مذكورة، وإنّما مستقاة من الفهم العامّ للسياق وتصوّر دلالته.

أدرجنا حوارات من سورة يوسف، وتناولنا علاقتها بالحبك، وكيف أدّت دورًا دلاليًّا في الحبك، سواء أكانت حوارات منطوقة، أم موموء بها ومعبّرًا عنها بلغة الجسد.

الكلمات المفتاحية: الحوار النصّي، الحبك الدلالي، لسانيّات النصّ، سورة يوسف.

Abstract:

In this study, we examined one of the principal components of narrative structure, namely dialogue, and traced its significance as a fundamental element in highlighting the prominent role of cohesion and coherence within the text. Dialogue functions as an integral component in the construction of textual organization, facilitating the reader's access to the intended meanings of the text, including those that may remain implicit or unexpressed. Such meanings are often inferred from the broader contextual framework and from an understanding of the semantic implications generated by the discourse as a whole.

To this end, we selected a number of dialogues from the Qur'an, specifically from Surah Yusuf, and analyzed their relationship to narrative structure and textual cohesion. We demonstrated how these dialogues contribute significantly to the semantic and structural development of the narrative, whether they are explicitly articulated through spoken exchanges or implicitly conveyed through gestures and nonverbal forms of communication, including body language.

Keywords: Textual Dialogue, Semantic Coherence, Text Linguistics, Surat Yusuf.

المقدمة

يُعدّ الحوار، بصفته علاقةً من علاقات معيار الحبك النصّيّ، من أكثر العلاقات النصّيّة أهميّة؛ لأنّه يعمل على تماسك النصّ وترابطه، وعلى تحقيق صفة النصّيّة للنّصّ؛ كونه يؤدّي إلى تطوّر المعاني والدلالات النصّيّة، من خلال التداول؛ أي بصورة ملحوظة، لا بصورة ملفوظة أو شكليّة، بخلاف علاقات معيار السبك؛ فالحوار علاقة تداوليّة يكون فيها الكلام صورةً من صور الردود المتبادلة بين المتحاورين، أو صورةً من صور إلحاق الكلام ببعضه بعض عن طريق جمل وعبارات داعمة لقول المحاور نفسه.

في هذا البحث، سنقسّم الحديث إلى مبحثين:

الأوّل – تعريف الحوار: وسنقف فيه على أهمّ تعريفات الحوار، لا سيّما تلك التي تستعرضه بوصفه علاقة من علاقات الحبك النصّيّ.

الثاني – تحليل الحوارات في سورة يوسف: سنقف على علاقة الحوار من حيث كونُها علاقةً حبكيّةً، تدعم تماسك النصّ دلاليًّا، وتعمل على الإسهام في سبكه المعنويّ. ولهذا، فإنّنا سنتناول بالتحليل **أربعة حوارات** هي: حوار الرؤيا، حوار المؤامرة، حوار الإقناع، حوار المراودة.

المبحث الأوّل: الحوار بوصفه علاقةً من علاقات الحبك

تُعدّ لسانيّات النصّ، أو النحو النصيُّ فرعًا حديثًا نوعًا ما من أفرع اللغة (النوري، 2020، صفحة 188) ورغم صعوبة تحديد بداية، هذا العلم، ومنشئه، ونسبه إلى عالِم أو اتّجاه مدرسيّ بعينه؛ إلّا أنّ ما يمكن القول إنّه بات من نافلة القول، وأمرًا شبهَ متّفقٍ عليه، أنّ بوادر هذا العلم بدأت تتبدّى مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين (النوري، 2020، صفحة 193).

لقد تطوّرت دراسات لسانيّات النصّ في سبعينيّات القرن الماضي على يد العالم "فان دايك"، الذي يعد المؤسّسَ الحقيقيَّ لعلم لسانيّات النصّ، وهو الذي وضع تصوّرًا كاملًا لعلم لسانيّات النصّ في كتابين له، وضعهما في هذا المضمار، وفرّق فيهما بين النصّ والخطاب في معنًى واحد، يأخذ بعين الاعتبار جميع الأبعاد البنيويّة، والسياقيّة، والثقافيّة. ثمّ تلا فانديك عالمان جعلا من هذا العلم علمًا مستقلًّا ذا أصول وقواعدَ مستقلّة. وقد جاءت جهودهما في ثمانينيّات القرن الماضي. وهذان العالمان هما "دي بوجراند ودريسلير" (فيصل، 2017، الصفحات 223-224)، اللذان حدّدا معاييرَ سبعةً للنصّيّة "يؤدّي وجودها مجتمعةً، أو وجود أغلبها، الى اتّصاف النصّ بسمة النصّيّة، وهذه المعايير هي: السبك أو التماسك النحويّ Cohesion، الحبك أو التماسك الدلاليّ Coherence، القصديّة أو المقصديّة، أو هدف النصّ Intentionality، القبول، أو المقبوليّة، ويتعلّق بموقف المتلقّي من النصّ Acceptability، الإخباريّة، أو الإعلاميّة، ويتعلّق بتوقّع المعلومات الواردة في النصّ، أو عدمه Informativity، المقاميّة، أو الموقفيّة، ويتعلّق بمناسبة النصّ للموقف Situationally، التناصّ، أو النصوصيّة، ويتعلّق بالعلاقة بين النصّ، ونصوص أخرى ذاتِ صلة، أو التعبير عن تبعيّة النصّ لنصوص أخرى Intertextuality. يؤدّي اجتماع هذه المعايير، إلى جمع المستوى الدلاليّ، والمستوى التركيبيّ، والمستوى التداوليّ، الذي يراعى فيه دور المتلقّي والسياق" (النوري، 2020، الصفحات 322-323).

يُعدّ معيارا "السبك والحبك" أهمّ معيارين في لسانيّات النصّ، ذلك لكون أحدهما (السبك)، يُعنى بتحليل النصّ على المستوى الشكليّ، أي النحويّ؛ ولكون الآخر (الحبك)، يُعنى بتحليل النصّ على المستوى الدلالي. ولكلّ معيار من المعيارين، علاقات يمكن تحليل النصّ بوساطتها؛ ونحن سنتناول في بحثنا هذا "علاقة الحوار" من حيث كونُها علاقةً من علاقات معيار "الحبك".

ولعلّ الحبك هو المعيار الدلاليّ الذي ترتبط فيه الدلالات والمعاني في النصّ من دون رابط لفظيّ، وإنّما برابط معنويّ يزيد من تلاحم النصّ وتماسكه (بشير و فيصل، 2019، الصفحات 22-23)، "والحبك خاصّة من خصائص إطار الاتّصال الاجتماعيّ، نراه في اشتراط مناسبة المطالع للمقاصد، ومقامات الاتّصال، وأحوال المخاطبين، وما يروق للممدوحين سماعه في فصول المديح، فلا يمدح الشاعر بما هو بالرثاء أجدر، وأن يرعى دور المخاطب الاجتماعيّ، فلكلّ طبقة ما يشاكلها، فضلًا عن رعايته موقف الاتّصال الخارجيّ، فلا يتغزّل إذا كان الكلام في حادثة لا يناسبها الغزل" (إمبيّة، 2009، صفحة 48).

علاقة الحوار في الحبك:

تعريف الحوار: يعرّف كثيرون الحوار، أنّه تبادل الكلام ومراجعته بين طرفين مختلفين؛ فهو نوع من الحديث يدور بين شخصين، أو فريقين، يتداولان الكلام بينهما بصورة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر. وبصورة عامّة، يكون الحوار من غير خصومة أو تعصّب، وهو شكل من أشكال الأدب الرفيع وأحد أساليبه. وكذلك، فالحوار هو تناول الحديث من طرفين أو أكثر، بوساطة السؤال والجواب، شريطة المحافظة على وحدة الموضوع والالتزام بهدف الحوار، فيكون الحوار شكلًا من أشكال تداول النقاش وتبادله، حول موضوع ما، ثمّ قد يُبتّ أو لا يُبتّ في هذا الموضوع، وقد يتوصّل الطرفان إلى نتيجة، أو ربما لا يتوصّلان، وقد يقنع أحدهما الآخر، وقد لا يقنعه (سكر و سكر، 2018، صفحة 160).

علاقة الحوار: علاقة الحوار، هي من العلاقات المهمّة في معيار الحبك: "تُعدّ علاقة الحوار، من علاقات الحبك الملحوظة التي تعمل على انسجام النصّ وترابطه وتماسكه، دون وجود رابط لفظيّ. وتتمثّل هذه العلاقة في أن تكون كلّ جملة في النصّ، ردًّا على جملة أخرى سابقة عليها، ومثيرة لجملة، أو لجمل أخرى لاحقة، ممّا يؤدّي إلى تحقيق سمة الحبك بين أجزاء النصّ، وتماسكها" (النوري، 2020، صفحة 585).

ذلك يعني، أنّ علاقة الحوار، هي من العلاقات الملحوظة التي لا ترتبط برابط لفظيّ مع بعضها بعض، وإنّما تثير أقسامها معانيَ ودلالاتٍ ملحوظةً لا ملفوظةً، كأن تتكوّن جملة أو مجموعة جمل في سياق حواريّ، ردًّا على شيء سمعه طرف ما من الطرف الآخر المتحاور معه، أو أن يتطوّر موقف حواريّ من المتحاور نفسه، إذ تأخذه تداعيات حواره إلى دعم قوله الأوّل بكلام آخرَ. وقد استعمل الحوار في أكثر من نصّ، فهو رائجٌ في النصوص السرديّة، وكثير في القرآن الكريم: "وقد تجلّت هذه العلاقة، بوضوح، فيما كان يجري من حوارات، بين بعض الأنبياء والرسل في القرآن الكريم. ومن الأمثلة على ذلك، ما كان يجري بين الأنبياء والرسل عليهم السلام، أمثالِ نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى وأقوامهم" (النوري، 2020، صفحة 585).

فالحوار، هو أحد أهمّ عناصر التعبير عن معيار الحبك "إن دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعيّة التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة؛ لأنّ الناس لا تنطق حين تنطق، ولا تكتب حين تكتب– جملًا أو تتابعًا من الجمل، ولكنّها تعبّر في الموقف اللغويّ الحيّ من خلال حوار معقّد متعدّد

الأطراف مع الآخرين، ويكثر في هذه الحال تصادم الاستراتيجيّات والمصالح وتعقّد المقامات... وتتشابك العلاقات في نسيج معقّد بين الشكل والمضمون على نحو يصبح فيه ردّ الأمر كلّه إلى الجمل أو نماذج الجمل تجاهلًا للظاهرة المدروسة، وردًّا لها إلى بساطة مصطنعة تخلّ بجوهرها" (مصلوح، 1990، صفحة 413).

وهنا سنستعرض الحالة الأولى؛ حالة الردّ وتداول الحوار بين المتحاورين، والحالة الثانية؛ أي، حين تكون الجملة لاحقة لما سبق عليها من المتحاور نفسه:

الحالة الأولى – تداول الحوار:

فمثلًا، ما جرى بين سيّدنا نوح، عليه السلام في حواره مع قومه (النوري، 2020، صفحة 585): {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأعراف: 59).

فجاء ردّ قومه: {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (الأعراف: 60)

فأجابهم عليه السلام قائلًا: {قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الأعراف: 61).

الحالة الثانية – ما يلحق الحوار من إضافة:

حتّى الآية السابقة، كان الحوار بين نوح، عليه السلام، وبين قومه حوارَ مراجعة وتداول، يقول طرفٌ من الأطراف قولًا، فيردّ عليه الطرف الآخر. وهنا سنطرح أمثلة من الحوار نفسه، تبيّن كيف أنّ أحد الأطراف المتحاورة، يضيف إلى ما قاله، قبل ردّ الآخر، فكأنّه يرى أنّ هنالك ضرورة لإضافة شيء ما على ما قاله، ليدعم فكرة الحوار التي يتحدّث بها.

بعد الآية 61، من سورة الأعراف، تلك الآية التي جاء كلام نوح، عليه السلام، فيها ردًّا على قومه، لم ينتظر ردّهم، بل أضاف: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (الأعراف: 62)، ثمّ لم يكتفِ بما قال، فأضاف معزّزًا طرحه وفكرته: {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأعراف: 63).

لقد ذكر تمام حسّان (2007) الحوار ضمن العلاقات الملحوظة، التي ناقشها في مبحث العلاقات الملحوظة في النصّ القرآنيّ (حسان، 2007، الصفحات 299-316)، وطرح أمثلة من القرآن الكريم حول الحوار (حسان، 2007، صفحة 305):

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ} (البقرة: 67-68).

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (البقرة: 189).

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} (البقرة: 219).

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} (البقرة: 222).

هذه الآيات التي يستعرضها تمام حسّان، تُرينا كيف أنّ الله، سبحانه يستعرض الحوار، سواء على صورة خطاب تداوليّ بين الأطراف المتحاورة، كما جاء في الآيات 67-68 من سورة البقرة؛ أو على صورة خطاب متوقَّع أو مأمور به. وهذا الأخير؛ أي المأمور به، يتبدّى في الآيات السابقة، ويشير إلى بُعد سياقيّ دلاليّ يحملنا إلى مفهوم الحبك الدلاليّ، ذلك لأنّ الله، سبحانه وتعالى، أمر الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، أن يجيب الناس الذين يسألونه عن الأهلّة، أنّها مواقيت للناس والحج. وكذلك، يأمره أن يجيبهم حين يسألونه ماذا ينفقون بقوله: العفوَ، أي؛ يأمره أن يجيب من سألوه عن الإنفاق، أنّ الله يأمرهم أن يُنفقوا ما يفيض عن حاجتهم الضروريّة وحاجة أهلهم وأبنائهم، وألّا يُنفقوا، في حين يتركون أنفسهم وأهليهم دون طعام أو شراب أو لباس. ثمّ فيما يتعلّق بالسؤال عن المحيض، فيأمر الله، عزّ وجلّ، الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، أن يجيب الناس عن المحيض بأنّه أذًى. ثمّ لا يكتفي بذلك، وإنّما يأمره أيضًا أن يأمرهم باعتزال النساء في المحيض، حتّى يتطهّرن.

في هذه الحوارات، نجد علاقة الحوار متجليّةً في التداول بين الأطراف، وفي إلحاق جمل المحاورين بالإضافات. وفيها، أي؛ المواضع والسياقات التي حاور فيها موسى قومه، أو التي أمر الله بها الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، أن يجيب الناس عن أسئلتهم، هنالك تناسب سياقيّ، مقاميّ ومقاليّ، وتناسب دلاليّ؛ إذ لا يخرج الحوار عن سياق الموضوع المتحاوَر حوله، وإنّما تكون الحوارات المختلفة، ضمن السياق المطروح.

"إذًا، الوضعيّة ضروريّة لفهم تيمة اللفظ، إذ تبني لها سياقه، لهذا من دون التيمة يستحيل فهم تلفّظ ما، كما أنّ أهميّة الفهم تكمن في أنّه وحده القادر على تحديد قبول تيمة من رفضها" (حياة، 2009، صفحة 161).

تأسيسًا على ما سبق؛ فإنّ الحوار بوصفه علاقة تداوليّة دلاليّة ملحوظة، تندرج ضمن معيار الحبك، يتميّز بأمرين: الأمر الأوّل، أنّه لا يبتعد عن السياقات الدلاليّة، المقاميّة والمقاليّة التي يدور الموضوع العامّ حولها؛ والثاني، أنّ الحوار قد يأتي على شكل تداول خطابيّ بين الأطراف المتحاورة، أو على هيئة جمل، يُلحقها المحاور كلامَه استكمالًا، قبل ردّ الطرف الآخر.

المبحث الثاني: الحوار في سورة يوسف أنموذجًا

لا جرم أن قال الله سبحانه وتعالى: إنّ قصّة يوسف هي أحسن القصص {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} (يوسف: 3) وإذا كانت القصّة لا بدّ أن تحتوي على عناصرَ كثيرة، من شانها أن تُسهِم في تماسك أحداثها وبناء حبكتها؛ فإنّ الحوار والسرد، من أكثر العناصر القصصيّة أهميّة، لبناء حبكةٍ محكمة.

إنّ مبحث هذه الدراسة، هو ليس السردَ أو الحوارَ من الناحية الأدبيّة، أو من حيث أهميّةُ البِنية السرديّة القصصيّة؛ أو من حيث تحليلُ الحوار والسرد بوصفهما عنصرين سرديّين؛ وإنّما هي دراسة حول الحوار من حيث كونُه علاقةً من علاقات معيار الحبك النصّيّ. لذلك، فسوف نتناول أبرز الحوارات في هذه السورة، من حيث التحليل اللسانيُّ النصّيُّ، إذ لن يتّسع المجال للإحاطة بدرس جميعِ حوارات السورة وتحليلها، بل سنقف على أبرز الحوارات، وهي: حوار الرؤيا؛ حوار المؤامرة؛ حوار الإقناع؛ حوار المراودة.

الحوار الأوّل - حوار الرؤيا

تبدأ سورة يوسف من نقطة سرد الرؤيا التي رآها في المنام. وهذا الحوار القصير نسبيًّا، يحمل معانيَ كبيرةً جِدًّا؛ فبما أنّه حوار أنبياء ملهَمين، فإنّه يتميّز بقصره وبكثير من الحذف والاختزال. وهذا من عظمة علاقة الحوار الحبكيّة في سورة يوسف. فمعيار الحبك، هو معيار يُعنى بحبك الدلالة وتماسك المعاني؛ ولا يأتي وحيدًا، وإنّما يأتي مجتمعًا والمعاييرَ النصّيّةَ الأخرى؛ لذا، فإنّنا نلمس علاقاتِ السبك أيضًا، كالحذف مثلًا؛ أو المعايير الأخرى، غيرَ أنّ ما نصبّ فيه جهودنا هنا، هي علاقة الحوار في معيار الحبك فقط.

ومن المعلوم أنّه إذا تمّ المعنى، انتهى الحوار، وقد يكون هذا الحوار أطول بكثير، لو كان حوارًا عاديًّا في عمل سرديّ بشريّ، بين ابن وأبيه؛ لكنّ حوار الأنبياء في سياقنا هذا مقتضب مختصر، قليلٌ ودالٌّ في الوقت نفسه.

بدأ يوسف، عليه السلام، قصّ رؤياه على أبيه: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} (يوسف: 4). هذه الرؤيا لم تكن من أضغاث الأحلام أو المنامات التي قد تؤرّق صاحبها لفترة وجيزة، ثمّ ما يلبث أن ينساها. إنّها رؤيا نبيّ؛ والوالد المُصغي، هو نبيّ أيضًا، فَهِمَ هذه الرؤيا، وعرف أنّها إشارة، أو رسالة من الله، عزّ وجلّ، تشير إلى أنّ أولاده يريدون بيوسفَ شرًّا. لذلك، فقد ردّ على يوسف ،عليه السلام، قائلًا: {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (يوسف: 5). نلاحظ هنا، كيف أنّ علاقة الحوار تحقّق الحبك النصّي؛ فعلاقة الحوار، تتمثّل في انّ النصّ يتكوّن من جمل لا يربطها رابط لفظيّ؛ غير أنّها تثير جُملةً أخرى أو جُملًا لاحقة (النوري، 2020، صفحة 585). وهنا نرى، كيف أنّ يوسف، عليه السلام، أثار بجملته هذه، ردًّا من أبيه. فيعقوب، عليه السلام، إذ فهم نيّة أبنائه، ردّ على يوسف، بما جاء في الآية الكريمة السابقة. ولم يكتف يعقوب، عليه السلام، بردّه هذا؛ وإنّما أردف واستأنف قائلًا: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (يوسف: 6).

إنّ موقف يعقوب، عليه السلام، يبيّن مدى خوفه على يوسف من أخوته، ومدى توقّعه لما قد يفعلونه. لذلك نجده قد أمر يوسف ألّا يقصّ رؤياه عليهم؛ في حين التزم الطرفان أدب الحوار الذي عرضه القرآن الكريم بأبهى صور الحوار وأدّقها؛ فاستعمال أسلوب النداء، يبيّن مدى التقارب والتحنّن بين يوسف، عليه السلام وأبيه، وبين يعقوب، عليه السلام، وابنه؛ فقوله: "يا أبتِ"، يحمل الشعور بالمحبّة والاحترام؛ ثمّ قوله: "يا بُنيّ"، باثًّا شعورًا بالقرب والمحبّة، هو أدعى لقبول النصح (سكر و سكر، 2018، صفحة 16).

في هذه النقطة، ينتهي الحوار بين يوسف وبين يعقوب عليهما السلام، وقد أخبر يوسف أباه بهذه الرؤيا، وكذلك فهمها أبوه فحذّره من أن يقصّ الرؤيا على أخوته؛ خَشيةَ أن يؤذوه؛ لأنّ الشيطان، وهو عدوّ مبين للإنسان، قد يوسوس لهم بذلك، مبرّرًا ذلك بأنّه؛ أي؛ يوسف، من الذين سيجتبيهم الله ويعلّمهم تأويل الأحاديث، ويتمّ نعمته عليه كما أتمّها على أبويه وأجداده.

هنا ينتهي الحوار، ولا يعود وصف اللقاء بين يوسف ويعقوب عليهما السلام، إلّا بعد أن تمرّ السنوات، فيكون يوسف، قد تبوّأ مكانةً عريقةً ومنصبًا ذا أهميّة، وأعيدت له كرامته وحقوقه. ويمكننا أن نستنتج من هذا الحوار ما يلي:

أوّلًا: قد يشير الحوار الذي دار بين يوسف ويعقوب عليهما السلام، للوهلة الأولى، إلى أنّه لا يفي بمعايير الحوار بوصفه علاقة من علاقات الحبك. فالحوار، هو عمليّة توليديّة للجمل من خلال الجمل الأخرى، إذ تكون كلّ جملةٍ ردًّا على جملة الطرف الآخر، أو امتدادًا لحديث الطرف الأوّل أو الثاني. وفي هذا الحوار، وجدنا يوسف، عليه السلام، يقصّ رؤياه على أبيه. ويعقوب، عليه السلام، يردّ بأن حذّر يوسف من قصّ الرؤيا على أخوته، ثمّ أردف مبيّنًا مكانة يوسف، عليه السلام، التي يتنبّأ له بها عند الله.

لكنّ هذا الحوار القصير يدلّ على عظمة القرآن الكريم. فبما أنّ الحديث عن نبيَّيْن من أنبياء الله، فبطبيعة الحال، سيكون حديثهما مقتصرًا على لبّ موضوع الحديث، وسوف لن يطول فيما قد يعتري كلام الناس العاديّين من حيرة وتلكّؤ وكثرة تفكير. فهما يتحدّثان بإلهام من الله سبحانه وتعالى. فهذا الحوار المختزل المقتضب، يحمل –كما ذكرنا- قوّة كبيرةً في اقتضابه، تفوق قوّة الإسهاب والتفصيل، لأنّ الأنبياء، هم الأحرى باعتماد بلاغة الإيجاز، وهم الذين لا يقولون إلّا ما يكون خيرًا.

ثانيًا: ممّا يدلّ على بلاغة قصر هذا الحوار، هو أنّه يقودنا إلى الاستنتاج أنّ يوسف، عليه السلام، قد عقل الرؤيا، وعرف كيف يقصّها بصورة محكمة واضحة، على صغر سنّه؛ فالآيات والأحداث تدلّ على أنّ يوسف كان ما يزال غلامًا صغيرًا. فقد قال ذلك واردُ السيّارة {وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} (يوسف: 19). وبما أنّه ما يزال غضًّا، فقد اكتفى بأن يبوح بما في نفسه لوالده، دون الخوض كثيرًا في الأمر.

ثالثًا: من دواعي قصر الحوار أيضًا في هذا المقام، هو كون سيّدنا يعقوب، عليه السلام، قد فهم أبعاد الرؤيا، وتوقّع، من خلال تأويلها، ما سيحدث ليوسف، عليه السلام؛ فالحوار هنا ينتهي، لأنّ يعقوب قد فوّض أمره إلى الله سبحانه وتعالى.

رابعًا: إذا قارنّا حوار يوسف مع يعقوب عليهما السلام، مع الحوارات الأخرى، فسوف نجد الحوارات الأخرى أطول، وأكثر إسهابًا. وذلك لأنّ البشر العاديّين، لا بدّ لهم أن يستوفوا جميع البيانات والمعلومات، من خلال حواراتهم التي تصبو أصلًا إلى توضيح ما غاب عنهم من أمور، يكشفها تطوّر حواراتهم، من خلال توالد الجمل من جمل أخرى، أو من خلال تبرير جمل قيلت من قِبَلهم وتفسيرها. وكذلك، فكثيرًا ما يحكم حواراتِ البشر العاديّين تكاثرُ التداعيات، وتولّدُ الجمل من الجمل الأخرى، أو إثارة نزعة الردّ عن الطرف المتحاوَر معه، أمّا حوارات الأنبياء، فالقول فيها فصل، والوحي حاضر، والكلام ممّا قلّ فدلّ.

الحوار الثاني حوار المؤامرة:

لقد طغى الحقد في قلوب أخوة يوسف على كلّ شيء في نفوسهم، فبدأوا يخطّطون للانتقام منه، وبرّروا ذلك تبريرًا واهيًا ضعيفًا، كما يفعل عادةً كلّ ظالم معتدٍ. {إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (يوسف: 8). ويمكن ملاحظةُ أمرين في هذه الآية: الأوّل، أنّ أخوة يوسف يحتجّون على حبّ يعقوب ليوسف ولأخيه الأصغر أكثر منهم، في الوقت الذي هم فيه عصبة، وهذا دليل على عنجهيّتهم وشعورهم بأنّهم الأحقّ والأجدر باهتمام والدهم (أحمد و بن هاشمي، 2016، صفحة 118). والثاني، هو عدم الأدب في الحوار؛ فإنّ قولهم في أبيهم "لفي ضلال مبين"، هو قول لا يلتزم بالأدب تجاه أبيهم، بصفته أبًا لهم، ونبيًّا من أنبياء الله.

هذا القول الذي قالوه بحسب الآية، يصف الحوار الذي دار بينهم، ثمّ يصف كيف جاء ما قيل مثيرًا لما سيأتي. فقولهم، إنّ أباهم يحبّ يوسف وأخاه أكثر من حبّه إيّاهم، كان مثيرًا للجملة القادمة في الآية القادمة؛ أي تبرير نيّتهم القرارَ في إيذاء يوسف: {اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ} (يوسف: 9). في هذه الآية، يجد أخوة يوسف المبرّر في البحث عن طريقة لإيذائه، إمّا بالقتل، وإمّا بالنفي. وجمل الحوار في هذه الآية، منقسمة أيضًا، إلى قول وتبرير: فأمّا القول، فهو الطلب على المستوى النحويّ؛ وأمّا التبرير فهو في جواب الطلب. ذلك يعني أنّ أخوة يوسف؛ لكي يبرّروا فَعلتهم التي ينوون القيام بها، "وعدوا" أن يتوبوا بعد هذه الفعلة: "وتكونوا من بعده قومًا صالحين"، عاطفين إيّاها على جملة جواب الطلب: "يخلُ لكم وجه أبيكم". ولم يقف الحوار على ذلك. فالمجرم، دائمًا يشكو من الحَيْرة ومن تلعثم الأفكار. فبعد طرح هذا الاقتراح، تطوّرت جملة أخرى في الحوار، وهي أنّ أحدهم قال: {قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} (يوسف: 10). فلقد قادهم التفكير بإيذاء يوسف، وكذلك تخبّطهم وخوفهم من عاقبة القتل، إلى اتّخاذ القرار، بأن يُلقوا اخاهم في الجبّ، لعلّ أحدًا يعثر عليه فيأخذه.

ومن المفهوم ضمنًا، أنّ هذا الحوار استمرّ بعد ذلك، ولم ينته عند هذه النقطة. لكنّ القرآن الكريم، ينتقل فورًا بعد هذه الآية إلى حوار أبناء يعقوب عليه السلام مع أبيهم. وهذا من بلاغة الحذف في القرآن الكريم، وهو ليس مبحث دراستنا، غير أنّنا نستنتج من هذا الحوار، أنّ أخوة يوسف، لم يكن حوارهم مقتضبًا مختصرًا موجزًا، بل تفرّع منه كثير من الجمل والكلام، وبطبيعة الحال، لا يُعقل أن يُتّخذ قرار بحجم قرارهم هذا تجاه أخيهم، بجملتين أو ثلاث، وإنّما بحوار، وأخذ وردّ طويل، حتّى استوفوا فيه جميع أركان مؤامرتهم ضدّ أخيهم. والشاهد على ذلك، هو ما سيأتي من حوارهم مع والدهم؛ إذ إنّ هذا الحوار، هو من نتائج قرارهم حول المؤامرة ضدّ يوسف.

ومن حوار المؤامرة يمكننا أن نستنتج ما يلي مقارنةً بحوار يوسف ويعقوب عليهما السلام:

أوّلًا: هنالك تراخٍ في الحوار، قسم منه ظاهر للعيان، وقسم آخر مستنتَج من خلال ملاحظة أساليب الحذف التي دلّت على استمرار هذا الحوار وتفرّعاته. وهذا، إنّما يدلّ على أنّ هذا حوار من حوارات بني البشر العاديّين الذين قد تقودهم في حواراتهم أهواءُ أنفسهم وما تسوّله لهم، ولا يكونون مؤيَّدين بوحي الله وإلهامه. فتفرُّعُ الحوار، وتطوُّرُ الجمل على شكل ردود أو تبريرات أو ما شابه، تفي بصورة واضحة بتعريف الحوار بوصفه علاقة من علاقات الحبك النصّيّ.

ثانيًا: لقد بُني الحوار على المؤامرة، وعلى التخطيط لإيذاء يوسف. وهذا يستلزم، بطبيعة الحال تخطيطًا وتفكيرًا، ويستدعي حَيرة وتخبّطًا كبيرين. لذلك، فلا بدّ لمثل هذا الحوار من التفرّع؛ بخلاف حوار الأنبياء المبنيّ على الإيجاز وعلى التوكّل، وعلى الفهم السريع المتّسم بالوحي والإلهام.

الحوار الثالث - حوار الإقناع:

هذا الحوار يقسم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى، هي مرحلة الإقناع، والمرحلة الثانية، هي مرحلة ما بعد تنفيذ المؤامرة.

أمّا مرحلة الإقناع، فكانت، بعد أن اتّخذ اخوة يوسف القرار بأن يؤذوه، فذهبوا إلى أبيهم وطلبوا منه أن يرسل يوسف معهم للّعب: {قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ} (يوسف: 11). في هذه المرحلة، يحاولون إقناع أبيهم، بأن يرسل يوسف معهم إلى البرّيّة، بحجّة أنّهم يريدون مصلحته، وأنّهم سيجعلونه يرتع ويلعب، وسيحافظون عليه. لكن، قبل أن يطلبوا من أبيهم ذلك مباشرة، مهّدوا لذلك بقولهم إنّهم مؤتمنون قادرون على حفظ أخيهم وحمايته: "وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ". هذه الجملة، أثارت عند يعقوب، عليه السلام، جملة الردّ. ولننظرْ إلى الردّ الذي جاء على نسق الحديث وسياقه؛ إذ إنّ علاقة الحوار في معيار الحبك، هي علاقة ملحوظة، لا يربط فيها الجملَ ببعضها رابط لفظيّ، بل رابط وتسلسل دلاليّ. قال يعقوب، عليه السلام ردًّا على أبنائه: {قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ} (يوسف: 13). هذا الردّ جاء على طلب الأبناء، ويعقوب، عليه السلام، يشمّ رائحة المؤامرة منذ البداية؛ بل منذ قصّ عليه يوسف، عليه السلام رؤياه. لكنّ يعقوب، عليه السلام، لم يكن فظًّا في ردّه، ولم يزجرهم؛ وإنّما جعل الأمر بينه وبين الذئب؛ إذ برّر عدم موافقته بأنّه "يحزنه أن يذهبوا به" ثمّ "يخاف أن يأكله الذئب"؛ فهذا الردّ كان من باب الأدب في الحوار، ومن باب مراعاة مشاعرهم وعدم إرادة التسبّب بجرح نفسيّ لهم (فرحان، 2012، صفحة 345). ولقد أثار ردّ يعقوب، عليه السلام جملة ردّ عند أبنائه. فردّوا على قوله: {قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ} (يوسف: 14). هذه الآية تدلّ على مستوى التعهّد الكاذب من قِبلهم تجاه أبيهم. فكيف يتعهّدون بالمحافظة على أخيهم، ويبرّرون ذلك بأنّ عددهم كبير، وهم أشدّاء؛ وهم يعرفون في قرارة أنفسهم، أنهّم كاذبون. وكذلك، فيعقوب نفسه، يعرف أنّهم كاذبون، لكنْ، هو أمر الله الذي قضاه ولا رادّ لقضاء الله.

ويمكن ملاحظة بعض النقاط من خلال هذا الحوار:

أوّلًا: يبدو الفرقُ واضحًا بين حوار البشر العاديّين وبين حوار الأنبياء في نقطتين: الأولى، أنّ حوار الأنبياء مقتضب، مفهوم، مبتوتٌ فيه بسرعة، لأنّه يعتمد على عَقل الأمور وفهمها بوحي وإلهام، ولأنّه منوط بالتوكّل على الله، وهذا ما رأيناه في الحوار الأوّل، حوار الرؤيا. وأمّا النقطة الثانية، فتبدو جليّة في حوار الأبناء مع أبيهم. فيعقوب عليه السلام، هو نبيّ، وحواره دائمًا مقتضب، ومؤدّب، ومعتمد على التوكّل. أمّا الأبناء، وهم بشر عاديّون، فحوارهم بُني على المراوغة والكذب، وعدم الأدب مع أبيهم، وعلى التداعيات التي جعلتهم يولّدون ردًّا على كلّ جملة من جمل الحوار إلحاحًا؛ لكي يوافق أبوهم على مطلبهم.

ثانيًا: الحوار لم يقف عند الآيات المذكورة فقط؛ ففي هذا الحوار اختزال وحذف أيضًا، ويُفهم أنّ الحوارَ قد تفرّع وكان مفصّلًا أكثر، من خلال الآيات الأخرى. فقوله تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} (يوسف: 15)، هو قولٌ دالٌّ على أنّ الحوار تطوّر، وأمعن أخوة يوسف في الإلحاح على أبيهم، حتّى وافق على طلبهم في النهاية.

الحوار الرابع - حوار المراودة:

يمكن النظر إلى حوار المراودة من زاويتين: الأولى، الحوار المباشر، الذي يتأتّى بالمحاورة؛ أي تداول الكلام ومراجعته بين المتحاورين. والثانيّة، هي الحوار غير المباشر، المفهوم من الحركات أو التصرّفات المختلفة. وهذا الحوار يُقدّر تقديرًا، ويمكن استنتاج أثره على الدلالة الكليّة العامّة للخطاب، أي؛ الحوار الكليّ: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ{ (يوسف: 23:29).

فالمراودة هي محاولة إغراء الطرف الآخر وحثّه على فعل الفاحشة: "وتقول راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه إذا حاول كلّ واحد من صاحبه الوطء والجماع؛ ومنه قوله تعالى: تراود فتاها عن نفسه؛ فجعل الفعل لها..." (مكرم، د.ت.، صفحة 191). فامرأة العزيز راودت يوسف عليه السلام عن نفسه: " وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ". هذا القسم من الآية الكريمة، يصف عمليّة المراودة وصفًا من غير تفصيل لما قالت؛ بل يذكر المراودة، ويذكر تصرّف هذه المرأة، وهو تغليق الأبواب، لكي تهيّئ الجوّ للفاحشة. ثمّ بعد ذلك قال: "وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ". وإذا أخذنا الواو قبل الفعل "قالت"، وقبل ذلك، قبل الفعل "غلّقت" على أنّه حرف عطف (درويش، 19924، صفحة 469)؛ فإنّ فعل القول جاء فعلًا مستقلًّا عن هذين الفعلين. ذلك يعني، أنّ الحوار في سياق المراودة، يُقسم إلى ثلاث مراحلَ وثلاثةِ أشكال: فأوّلًا، مرحلة المراودة، والشكل المستنتج المفهوم من السياق، وهو استنتاجنا من قوله: "وراودته"، أي حاولت إغراءه وإيقاعه في الفاحشة. والسؤال: كيف فعلت ذلك؟ هل بالحركات ولغة الجسد؟ هل بالقول المباشر؟ هل بالتلميح والإشارة؟ ثمّ بعد ذلك تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة تغليق الأبواب، وشكل الحوار الذي يدور هنا، هو على ما يبدو، يدور بلغة الجسد؛ إذ تغليق الأبواب، هو فعل دالٌّ على ما ارادته وعلى المراودة. أمّا المرحلة الثالثة، فهي مرحلة قولها: "هيت لك". والمرأة، لا تصل إلى حدّ القول: "هيت لك" أو ما شابه من عبارات، إلّا إذا وصلت حدّ الرغبة الجامحة، ورفض الطرف الآخر الاستجابة. فيبدو أنّ الحوار بمراحله الثلاث، وأشكاله الثلاثة، كان متبادلًا؛ إذ يبدو أنّ يوسف، عليه السلام، قد حاول التخلّص منها والرفض ولو بلغة الجسد، إلّا أنّها صمّمت على دأبها. فتغليق الأبواب لا يكون بالضرورة، فقط لأنّها تريد ممارسة الفاحشة بعيدًا عن الأعين؛ ولكن، قد يكون أيضًا، لأنّها أرادت أن تجبر يوسف، عليه السلام على الأمر، وأن تضعه أمام الأمر الواقع. وما يبرّر هذه الفكرة، هو ذلك الفتور الذي ظهر من زوجها حين قال حين أُلزم الحجّةَ بعد شهادة شاهد من أهلها: "يوسف أعرض عن هذا". وتحليل هذا الجزء من الخطاب والحوار وَفق علاقة الحوار في معيار الحبك هو كما يلي:

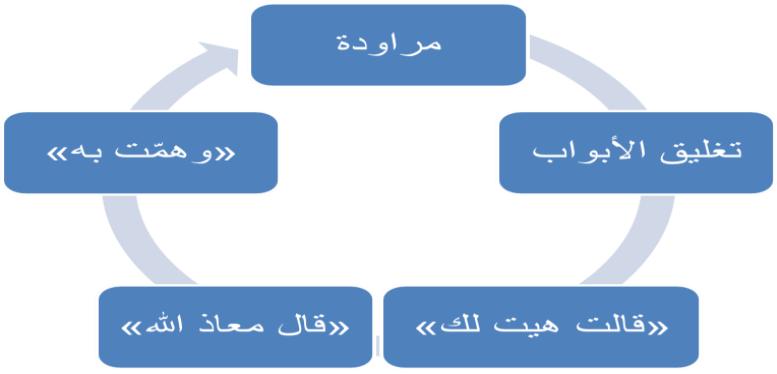

بحسب الشكل أعلاه، تتمثّل لنا علاقة الحوار في أنّ امرأة العزيز راودت، يوسف، عليه السلام. ثمّ لم تكتفِ؛ فبعد أن رأت أنّه لا يستجيب، غلّقت الأبواب، ثمّ حين وصلت إلى ذروة الرغبة قالت: "هيت لك". هذه المراحل توازي ما ذُكر في شرح علاقة الحوار، أنّ مَن يحاورُ قد يُلحِق ما قاله كلامًا آخر، قبل ردّ الطرف الآخر، لأنّه يرى أنّه من المناسب أن يفعل ذلك، إمّا للإقناع أو التفسير، أو لأنّه يظنّ أن ما قاله حتّى تلك المرحلة لم يكن كافيًا. وهذا يذكّرنا بما جاء عند النوريّ (2020): "وتتمثّل هذه العلاقة في أن تكون كلّ جملة في النصّ، ردًّا على جملة أخرى سابقة عليها، ومثيرة لجملة، أو لجمل أخرى لاحقة" (النوري، 2020، صفحة 585). فامرأة العزيز لم تكتف بالمراودة؛ بل انتقلت إلى تغليق الأبواب، فلم تكتف؛ فقالت "هيت لك"، وفي كلّ مرّة رفض يوسف، عليه السلام، وصمّمت هي على ما تريد، فتكوّنت متاهةٌ حواريّة، وحربُ إرادات، يتمسّك كلّ من الطرفين من خلالها بإرادته، ويترجم هذه الإرادة تعبيره في السياق.

ثمّ يأتي القسم الآخر من الحوار، وهو قسم كلاميّ، يتمثّل في ردّ يوسف، عليه السلام: " قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ". هذا الردّ هو وَفق تعريف علاقة الحوار، جُملٌ مثارة ممّا سبق من حوار. فهو يرفض بصورة قاطعة، إذ يقول: "معاذ الله". ثمّ تثير

هذه الجملة في نفسه كلامًا آخر، فيُلحقها بجملة: "إنّه ربّي أكرم مثواي"، وهذ الجملة تحمل تبريرًا للعبارة التي سبقتها: "معاذ الله"، ثمّ يُلحق ذلك كلّه، بقوله: "إنّه لا يفلح الظالمون". وهذا الردّ مكوّن من ثلاثة أقسام:
"معاذ الله"، وهي عبارة تنبئ بالرفض القاطع؛ ثمّ: "إنّه ربّي أكرم مثواي"، وهي جملة تحمل في داخلها قيمًا دينيّة وإنسانيّة، فهو يبرّر لها رفضه، بعد "معاذ الله" التي تبرّر الأمر دينيًّا، يبرّر لها تبريرًا أخلاقيًّا. فهو لا يريد خيانة سيّده الذي احتواه وربّاه. أمّا الجملة الأخيرة: "إنّه لا يفلح الظالمون"، فهي جملة قاطعة تبيّن أنّه لا أمل من موافقته على الأمر، لأنّه فتًى ذو عقيدةٍ صادقة.

لذلك، جاء الفعل التالي، وهو: "ولقد همّت به". هذه الجملة، تبيّن مدى تصميم امرأة العزيز على الفاحشة، ويؤكّد ذلك توكيد الفعل "باللام وقد". ثمّ يأتي موقف يوسف بعد ذلك. وما يبيّن موقف يوسف، هو "لولا". فقوله تعالى: "وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربّه"، يدلّ على أنّ يوسف، عليه السلام لم يهمَّ بها. ولكي نثبت أنّه لم يهمَّ بها، علينا ملاحظة أمرين: الأوّل: لولا، التي تفيد امتناعًا لوجود؛ والثاني، أنّه لا يوجد سَكتٌ بين "وهمّ بها" و "لولا". وبذلك يصبح تقدير الكلام، أنّ يوسف، عليه السلام، لولا أن رأى برهان ربّه أوّلًا، لهمّ بها.

ومن حيث علاقة الحوار، فإنّ فعل "الهمّ"، سواء المثبت بالنسبة لامرأة العزيز، أو المنفيّ بالنسبة ليوسف، عليه السلام، وسواء أكان هذا الفعل بالكلام الصوتيّ أم بلغة الجسد، فإنّ تبادل الفعل إثباتًا منها، ثمّ نفيًا منه، يحمل دلالة الحوار، ويحقّق معيار الحبك من حيث التماسك الدلاليّ واتّساق النصّ.

ويؤكّد هذه المفاهيم الحواريّة ما جاء بعد ذلك من حوارات، سواء أبلغة الجسد أم باللغة المنطوقة. ففعل استباقهما الباب، يدلّ على محاولة يوسف، عليه السلام، الهروبَ والتخلّصَ من هذا المأزق. ثمّ لحاقها به، محاولةً أعادتَه وعدمَ تمكينه من وصول الباب، ثُمّ وجود العزيز عند الباب، وهو أمر دالٌّ على أنّ يوسف، عليه السلام استطاع أن يفتح الباب، حيث كان زوجها موجودًا.

كلّ هذه الحوارات الصامتة والناطقة، تدلّ على أنّ الكلام كان بين الطرفين متداولًا بصورة أخذ وردّ وطلب ونفي، وحين رأت زوجها عند الباب، بادءته بقولها: "ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا...". ثمّ يأتي دور يوسف، عليه السلام في الحوار المتولّد عن كلامها، ليدافع عن نفسه، فيقول إنّها هي التي راودته عن نفسه، ثمّ تتطوّر الأمور إلى أن يشهد الشاهد الذي من أهلها، فيتبيّن أنّ يوسف، عليه السلام، بريء، فيطلب منها العزيز أن تعتذر، ويطلب من يوسف، عليه السلام، أن يتجاوز عن الموضوع، فلا يقبل يوسف، ويؤثر السجن إلى أن تظهر براءته.

كلّ هذه الأحداث التي تحتوي على كثير من الكلام المنطوق، وكثير من لغة الجسد، وكثير من الحذف والاختزال، كلّها حوارات تخضع لعلاقة الحوار يوصفها علاقة من علاقات معيار الحبك النصّي، الذي يُسهم في تماسك النصّ دلاليًّا، دون رابط لفظيّ بين الجمل والأفكار؛ وإنّما بروابطَ معنويّة ومنطقيّة ودلاليّة.

الخلاصة

استعرضنا في هذا البحث نموذجًا تطبيقيًّا لعلاقة الحوار في معيار الحبك النصّيّ؛ إذ كان التطبيق على أربعة حوارات في سورة يوسف. ورأيْنا من خلال البحث، أنّ جميع هذه الحوارات، قد أدّت دورَها المطلوبَ على المستوى النصّيّ، في الإسهام في التماسك والترابط والاتّساق الدلاليّ؛ فالحوار، هو جزء من دلالة السياق، ملحوظٌ غير ملفوظٍ، يُسهِمُ في تقوية السياق والدلالة؛ إذ يحقّق ما جاء في الأدبيّات التي تناولت نحو النصّ بالدرس والتمحيص، قائلةً بكون علاقة الحوار عنصرًا مهمًّا في تطوير دلالة النصّ؛ إذ يكون تطوّر الحوار بشكل طبيعيّ في أمرين: فإمّا أن تكون الجمل الحواريّة ردودًا على جُمل المحاور الآخر؛ وإمّا أن تكون تطويرًا لحديث المحاور نفسه، وَفق تداعيات نفسه، إن أراد استئنافًا، أو تبريرًا، أو إقناعًا، أو تفسيرًا، أو ما إلى ذلك من أغراض.

وبناء على ما سبق في البحث، يمكننا استنتاج ما يلي:

- يؤدّي الحوار دورًا دلاليًّا سياقيًّا مهمًّا في النصّ، يتأتّى في الولادة المنطقيّة للتداوليّة الدلاليّة التي تولّد بصورة تلقائيّة من جمل الحوار وأفكاره.
- يؤدّي الحوار دورًا مهمًّا في تحقيق نصيّة النصّ، عن طريق إسهامه، بوصفه علاقةً تابعةً لمعيار الحبك، بجعل النصّ وحدة واحدة، وبِنيةً مترابطة، لا جملًا وفقراتٍ متنافرةً متناثرةً، لا يربطها منطق ولا تسلسل.
- يندرج الحوار تحت عنوان لسانيّات النصّ، من حيث إمكانيّة تحليل النصّ من خلاله، مع العلاقات والمعايير الأخرى، سواء أكان الحوار، مكتوبًا، أم منطوقًا، أم مُستنتجًا من مواقف حذف واختزال، أم حتّى حوارًا بلغة الجسد.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن منظورش، جمال الدين بن مكرم. (د.ت.). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

أحمد، راغب أحمد، و بن هاشمي محمد. (2016). لغة الحوار في سورة يوسف: دراسة تحليليّة في ضوء علم اللغة الاجتماعيّ. *مجلّة الدراسات اللّغويّة والأدبيّة في الجامعة الإسلاميّة ماليزيا*، 111-128.

امّ السعد، حياة. (2009). حضور بعض مقولات لسانيّات النصّ في المسند النظريّ الباختينيّ. *مجلة الأثر* ، 47-55.

فرحان، بان حميد. (2012). جماليّة القصّة القرآنيّة: قصّة سيّدنا يوسف أنموذجًا. *مجلّة كلّيّة الآداب، جامعة بغداد ع 101*، 335-354.

حسان، تمام. (2007). *اجتهادات لغويّة*. القاهرة: عالم الكتب.

مصلوح، سعد. (1990). العربيّة من نحو الجملة إلى نحو النصّ. *الكتاب التذكاريّ: عبد السلام هارون معلّمًا ومؤلّفًا ومحقّقًا*، الصفحات 405-432.

إمبيّة، عبد الوهّاب خلف الله. (2009). ثنائيّة السبك والحبك في اللغة والأدب. *مجلّة جامعة سبها للعلوم الإنسانيّة*، الصفحات 47-55.

بشير، محمد وفيصل، محمد. (2019). الحبك النصّيّ وعلاقته بالنصّ القرآنيّ: دراسة نظريّة في ضوء التراث النقديّ والبلاغيّ. *البصيرة، مج8 ع1*، 21-39.

النوري، محمد جواد. (2020). *لسانيات النصّ وتحليل الخطاب*. بيروت: دار الكتب العلميّة.

فيصل، محمد. (2017). المعايير السبعة في العربيّة والإنجليزيّة ودورها في الدراسات النصّيّة : دراسة نظريّة في ضوء اللّسانيّات النصّيّة الحديثة. *الدراسات الإسلامية مج52 ع1*، الصفحات 221-250.

درويش، محيي الدين. (19924). *اعراب القرآن وبيانه ج 4*. بيروت وحمص: دار اليمامة ودار ابن كثير.

سكر، ناجي رجب العبد و سكر ،ماجد رجب العبد. (آذار, 2018). حوارات سورة يوسف: منهجيّات قرآنيّة في التأثير والإقناع. *مجلّة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث 44*، الصفحات 158-170.